جهود الشيخ محمد متولي الشعراوي في الرد على دعاوى المستشرقين من خلال تفسيره: "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أنموذجًا"

إعداد

محمود رأفت أحمد الجمال

أ.د محمد عطا أحمد يوسف

أستاذ الدراسات الإسلامية المتفرغ كلية الآداب ـ جامعة طنطا

د. ربيعي عبد الخالق

مـدرس بقسم اللغة العربية كلية الآداب ـ جامعة طنطا

المستخلص:

لا يخفى على أحد من الناس ما لحق بالأمة الإسلامية خصوصًا في هذا العصر الحديث من شبهات متوالية وحرب ضروسٍ لا هوادة فيها، سعت فيها دوائر الشر إلى محو الإسلام من الوجود. وكان من سنة الله تعالى في الكوٍن بقاء الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة، وأنه سبحانه وتعالى مؤيد دينه وناصره في كل عصر وزمان بكوكبة من حملة العلم والفكر يقومون بالدفاع عن هذا الدين، وكان من بين أولئك العلماء الأفذاذ الذين نبغوا في هذا العصر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله الذي عُرِف عنه غيرته التامة على ثوابت الأمة وعقيدتها.

وقف الإمام الشعراوي رحمه الله مدافعًا عن الإسلام في القضايا التي تعتبر من المداخل التي يدخل منها أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم للطعن فيه وتشويه صورته.

ولقد نظرت في تفسير الشيخ الشعراوي رحمه الله فرأيت فيه جهدًا عظيمًا في هذا الشأن، حيث إنه يذكر كثيرًا من مغالطات ومزاعم المستشرقين حول آيات من القرآن الكريم، ثم يتناولها بالردّ العلمي والتفنيد بعيدًا عن الانفعال العاطفي.

وقد ظهرت جهود الشيخ الشعراوي رحمه الله من خلال ردوده على الدعاوى التي آثارها المستشرقون حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ومنها: الرد على ادعائهم تناقض القرآن الكريم مع الآيات الكونية. ومنها: الرد على ادعائهم تناقض القرآن مع خلق الإنسان. ومنها: الرد على ادعائهم تناقض القرآن مع بعض الاكتشافات الحديثة.

الكلمات الافتتاحية: جهود، الشيخ محمد متولي الشعراوي، دعاوى المستشرقين، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد

المطلب الأول: التعريف بالشعراوي، والاستشراق، والإعجاز العلمي:

الفرع الأول: التعريف بالشعراوي:

المسألة الأول: اسمه ونسبه:

أولًا: اسمه: هو الشيخ محمد متولي (عبد الحافظ) الشعراوي، واشتهر في قريته باسم (أمين)[١]. ولد رحمه الله سنة (١٣٢٩هـ = ١٩١١م) بقرية (دقادوس)، وهي قرية من قرى مصر القديمة، وهي الآن من قرى مدينة ميت غمر التابعة لمحافظة الدقهلية، ويطلق عليها قسم ثاني ميت غمر، حيث إنها تعتبر امتداد عمراني للمدينة، ولا يفصل بينها وبين المدينة سوى شريط قطار السكة الحديد[٢].

ثانيًا: (الشعراوي) نسبة إلى مضيق في السعودية اسمه: (مضيق الشعراوي)، كان أجداده قد قدموا منه فنُسِبوا إليه[٣].

المسألة الثانية: نشأته، وعلمه، ووفاته:

أولًا: نشأته: نشأ الشيخ رحمه الله في بيئة تتسم بالصلاح والتقوى أحبت العلم والعلماء، وفي أسرة متدينة، حيث كان الابن الأكبر، ولذلك وهبه والده للعلم في الأزهر.

وعاش الشيخ رحمه الله فترة الطلب الأولى في مدينة الزقازيق[٤]، حيث كان طالبًا في معهد الزقازيق الديني. وقد حصل على الابتدائية الأزهرية سنة (١٩٣٠م)[٥]، وقيل: سنة (١٩٣٢م)[٦]. وحصل على الثانوية الأزهرية سنة (١٩٣٦م)، ثم التحق بعد ذلك بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وتخرج منها عام (١٩٤١م)، وحصل على إجازة العالمية، ومن بعدها نال درجة التخصص من الكلية نفسها عام (١٩٤٣م)[٧].

ومن ناحية أخرى فإن الشيخ رحمه الله نشأ في ظل ظروف سياسية قاسية، حيث الاستعمار الإنجليزي لمصر، والمواجهات القائمة بينه وبين الشعب، فنشأ في صدر الشعراوي الحمية والحماس والوطنية، فجاهد بقلمه وعبر بلسانه عن مشاعره ومشاعر شعبه، ودوَّى صوته بين زملائه. لقد كان زعيمًا لاتحاد الطلبة في المعهد الأزهري بالزقازيق ودوَّت بياناته الموهوبة بين الأساتذة والطلاب، حتى أصبح مرصد العيون ومحط الأنظار، واعتُقل إثر ذلك، وسُجن ثلاثين يومًا[٨].

---

(١) مذكرات إمام الدعاة، محمد زايد (ص/ ٢٧)، دار الشروق/ القاهرة، ط٣(١٩٩٨م)، والشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي (ص/ ١١)، دار الفضيلة/ القاهرة، (دت).

(٢) الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين (ص/ ١١، ١٢)، أخبار اليوم/ مصر، ط٤(١٩٩٥م)..

(٣) الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت، سعيد أبو العينين (ص/ ١٠)، دار أخبار اليوم/ القاهرة، ط٦، (دت). ولم أقف على (مضيق الشعراوي) هذا فيما بين يدي من المصادر.

(٤) مدينة الزقازيق هي من المدن الحديثة الكبيرة في مصر، وهي الآن عاصمة محافظة الشرقية. ينظر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها البقية في العصر الاسلامي، الدكتورة: سعاد ماهر (١٢٦) وما بعدها، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

(٥) الشعراوي الذي نعرفه (ص/ ٢٧).

(٦) الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات (ص/ ٧).

(٧) من القرية إلى العالمية، محمد محجوب حسن (١٧، ١٨)، مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة، (دت).

(٨) ينظر تفاصيل ذلك في الشعراوي الذي لا نعرفه (ص/ ٢٧) وما بعدها، والشيخ الشعراوي وحديث الذكريات (ص/ ٢٣) وما بعدها،

ثانيًا: علمه: لم يكن اطلاع الإمام الشعراوي قاصرًا على فن دون آخر، وإنما كان واسع الاتجاهات ، فكان ذا ثقافة دينية واسعة، تشمل التفسير، والفقه، واللغة، ومعرفة السيرة النبوية، والعلم بأخبار السلف من الصحابة والتابعين، كما أنه صاحب علم بالشعر والأدب.

ولم تقتصر ثقافته على العلوم العربية والدينية، بل امتدت إلى العلوم الحديثة في مسائل الطبيعة، والفلك، والكيمياء والاقتصاد، فضلًا عن علوم التاريخ، والاجتماع، وعلم النفس، وبذلك تكونت لديه ثقافة شاملة.

وكان رحمه الله كثيرًا ما يصرح بأنه لا يقرأ إلا القرآن الكريم، ولكن كانت أحاديثه تنم عن أنه لا يكف عن القراءة، وأنه متابع جيد لكل تفصيلات الحياة والعلم والاقتصاد، ولأدق نظريات الاجتماع، ومنجزات التكنولوجيا، وتطورات العلوم الحديثة، وكان هذا أظهر ما يكون في حديثه وتشبيهاته وحواشيه[١].

ثالثًا: وفاته: توفي رحمه الله في فجر يوم الأربعاء، ١٢ من شهر صفر سنة (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م) ودفن بقرية دقادوس خلف مجمع الشعراوي الذي بناه لأهل بلده في دقادوس.

الفرع الثاني: تعريف الاستشراق:

اختلف المفكرون والباحثون في إيجاد تعريف موحد للاستشراق؛ لاختلاف نظرتهم إليه، أو ربما لأنه مفهوم غير واضح المعالم لدى المفكرين العرب والمسلمين، ومع ذلك يتفقون فيما بينهم على عناصر مشتركة للاستشراق والمستشرقين.

المسألة الأولى: الاستشراق في اللغة:

اشْتُق هذا المصطلح من كلمة (شرق): وهي جهة شروق الشمس، والتشريق: الأَخذ في ناحية المشرق[٢]. استشرقَ يستشرق، استشراقًا، فهو مستشرق. استشرق الأوربيُّ: اهتمَّ بالشرق والدراسات الشرقية. والاستشراق: مصدر (استشرق)، وهو عناية واهتمام بشئون الشرق وثقافاته ولغاته[٣]. فكلمة الاستشراق لفظة "مولدة عصرية" من "استشرق"، تقال لمن يُعْنى بعلوم أهل الشرق من علماء الفرنجة[٤].

المسألة الثانية: الاستشراق في المعنى الاصطلاحي:

الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، والمستشرق: هو عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وأديانه وحضاراته.

والاستشراق إذن هي الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته، وآدابه، وتاريخه، وعقائده، وتشريعاته، وحضاراته بوجه عام[٥].

وقد عرفه إدوارد سعيد[٦]: بأنه أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه[١].

---

(١) موسوعة أعلام المجددين في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الخامس عشر، سامح كريم (٣/ ٣٤١)، مكتبة الدار العربية للكتاب، (٢٠١٠م).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، مادة/ شرق، (١٠/ ١٧٣، ١٧٤)، دار صادر/ بيروت، ط٣(١٤١٤هـ).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د: أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، مادة/ (ش ر ق)، (٢/ ١١٩٢، ١١٩٢، ١١٩٣)، عالم الكتب، ط١(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

(٤) معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، الحمد رضا، مادة/ شرق، (٣/ ٣١٠)، دار مكتبة الحياة/ بيروت، (١٣٧٨هـ/ ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

(٥) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دكتور: محمود حمدي زقزوق (ص/ ١٨)، دار المعارف/ القاهرة، (دت).

(٦) هو إدوارد وديع إبراهيم، ولد سنة (١٩٣٥م) في القدس، من أصول عربية فلسطينية، وعاش في كنف أسرة تندرج من عائلات نصرانية متدينة، نال شهادة الدراسات العليا في الآداب من جامعة هارفارد، وعمل أستاذًا للأدب المقارن في

ومن هذين التعريفين يتبين أن المستشرق يطلق على الغربي الذي يقوم بدراسة الإسلام، ولكن عندما خاض عدد من الدارسين للإسلام من المنتمين إلى أقطار غير مسلمة مثل: الصين، والهند، واليابان، والسوفيت، أو من غير المسلمين وينتمون إلى أقطار مسلمة مثل: العرب من اليهود والنصارى وكانت جهود كل هؤلاء تحمل نفس الطابع الملحوظ في الجهود الغربية، لذلك تم إلغاء خصوصية "الانتماء الغربي" للمستشرق، ومن هنا أخذ بعض المؤلفين المعاصرين يطلق كلمة المستشرق على كل دارس للإسلام من غير المسلمين سواء أكان غربيًّا أم شرقيًّا.

فقد عرفه الدكتور علي النملة: بأنه اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية، ولو لم يكونوا غربيين(٢).

الفرع الثالث: تعريف الإعجاز العلمي، وموقف الشعراوي منه:

المسألة الأولى: تعريف الإعجاز العلمي:

الإعجاز العلمي هو علم من علوم القرآن الكريم يتعلق بما حصل من الفتح الإلهي للعلماء من معرفة التطابق بين ما ثبت من الحقائق العلمية المستقرة وما ورد فيه من الدلالات على تلك الحقائق، بشرط أن تكون مما أثبت العلماء صحة ثبوته بالأدلة والبراهين المعترف بها عند أهل الاختصاص، وأن تكون قد بلغت في اطراد نتائجها حد الثبات والاستقرار. وذكرت اللجنة التأسيسية لهيئة الإعجاز العلمي في اجتماعها المنعقد بالشهر الثامن من عام (١٤٠٦هـ) أن المراد بالعلم في عبارة الإعجاز العلمي: إدراك حقائق الظواهر الطبيعية والكونية(٣).

المسألة الثانية: موقف الشيخ الشعراوي من الإعجاز العلمي للقرآن:

يؤكد الشعراوي رحمه الله على القول بالإعجاز العلمي إذا ثبتت صحته بالأدلة والبراهين العلمية الصحيحة، وثبت صدقه عمليًّا وتأكدنا أنه لا يمكن تغييره، حيث فرق رحمه الله بين النظرية العلمية، والحقيقة العلمية، فبيّن أن النظرية العلمية هي مسألة محلّ بحث ودراسة لم تثبت بَعْد؛ لذلك يقولون: هذا كلام نظري أي: يحتاج إلى ما يؤيده من الواقع، وأمّا الحقيقة العلمية فمسألة وقعتْ تحت التجربة، وثبت صدقها عمليًّا ووثقنا أنها لا تتغير.

وبعد هذا التفريق يؤكد رحمه الله أن علينا أَلا نربط القرآن بالنظرية العلمية التي تحتمل الصدق أو الكذب، حتى لا يتذبذب الناس في فَهْمهم للقرآن، ويتهمونا أننا نُفسِّر القرآن حَسْب أهوائنا. وأما الحقيقة العلمية الثابتة فإذا جاءت بحيث لا تُدفَع فلا مانع من ربطها بالقرآن(٤).

المطلب الثاني:
جهود الشيخ الشعراوي رحمه الله في الرد على المستشرقين حول دعواهم تناقض القرآن الكريم مع الآيات الكونية

يؤكد الشعراوي رحمه الله على القرآن الكريم مُنزل من قِبَل الله تعالى الذي يعلم السر في السموات والأرض، ولذلك لا يمكن أن يحدث تضارب أبدًا بين منطوق القرآن ومنطوق الأكوان، وإنما

جامعة "كولومبيا" في نيويورك سنة (١٩٦٣م). توفي سنة (٢٠٠٣م). ينظر: الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية، د: تركي بن خالد الظفيري (ص/ ١٦ ـ ٣٤)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث/ السعودية، ط٢(٢٠١٥م).

(١) الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: د: محمد عناني (ص/ ٤٥، ٤٦)، مكتبة رؤية للنشر والتوزيع/ القاهرة، ط١(٢٠٠٦).

(٢) الاستشراق والدراسات الإسلامية، أد: علي بن إبراهيم الحمَد النملة (ص/ ١٢٤)، مكتبة التوبة/ الرياض، ط١(١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

(٣) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، عبد الله بن عبد العزيز المصلح (ص/ ١٩)، دار جياد للنشر والتوزيع/ السعودية، ط١(١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (١٥/ ٩٥١٩، ٩٥٢٠)، مطابع أخبار اليوم/ مصر، (دت).

يحدث التناقض والتضارب بسبب الخطأ في فَهْم مدلول الحقيقة القرآنية على أنها حقيقة كونية وهي ليست كذلك، أو من فَهْم أنها حقيقة قرآنية على نحو خاطئ(١).

كما استشهد رحمه الله على أنه لا يوجد تعارض بين القرآن الكريم والحقائق العلمية بالواقع المتغير للكون مع مشاهدتنا لهذا التغيرات التي تحدث في العالم من حولنا، فقال: "والواقع أيضًا أننا نجد كل قضية قرآنية تعرض كنص من نصوص القرآن أنزله الله على رسوله. . هذه القضية القرآنية في كون له تغيرات، والتغيرات بعضها يكون من مؤمن بالقرآن، وبعضها يكون من غير مؤمن بالقرآن، فهل رأيت قضية قرآنية ثم جاءت قضية الكون حتى من غير المؤمنين فكذبتها؟ لا."(٢).

الفرع الأول: ادعاء المستشرقين تناقض القرآن حول مدة خلق السموات والأرض، والرد عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

ذكر الشعراوي رحمه الله أن المستشرقين عندما تعرضوا لقضية خلق السموات والأرض قالوا: كل الآيات القرآن الكريم التي تكلمت عن خلق السموات والأرض أكدت على أن الله خلقهما في ستة أيام، ولكن عند التفصيل ذكر أنها ثمانية أيام، فقال سبحانه: ﴿ طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢] ومن هنا ادعى المستشرقون زورًا وبهتانًا أن القرآن فيه اختلاف، وتساءلوا: هل خلق الله الأرض وحدها في ستة أيام والسماء في يومين فيكون خلقهما في ثمانية أيام؟(٣)(٤).

المسألة الثانية: رد الشيخ الشعراوي عليها:

يبطل الشعراوي رحمه الله هذه الدعوى من عدة وجوه: **الأول: الدليل العقلي:** يستدل الشعراوي رحمه الله على أنه لا خلاف بين آيات الإجمال وآيات التفصيل بالعرب الأوائل، ولذلك يؤكد رحمه الله على أن المستشرقين لم يفهموا معطيات القرآن؛ لأنهم لو أعملوا عقولهم؛ لعرفوا أن الاختلاف والتناقض في فهمهم وليس في القرآن؛ لأن المتكلم هو الله سبحانه وتعالى، وهو يكلم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وقد فهموا من آيات التفصيل ما لم يفهمه المستشرقون. هم كأهل فصاحة وبيان فهموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام(٥).

---

(١) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٨)، (١٧/ ١٠٣٧٠).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٤٧٨، ٢٤٧٩).

(٣) راجع: تفسير الشعراوي (٤/ ٢٤٧٧)، (٧/ ٤١٦٦)، (٩/ ٥٦٨٨)، (١٠/ ٦٣٢٥، ٦٣٢٦)، (٢٢/ ١٣٥١٤) (٢٣/ ١٤٥٤٢) (٢٤/ ١٤٩٠٣).

(٤) راجع: الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري (١/ ٥٠٤) وما بعدها، تحقيق: د: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١(١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، والتوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي (ص/ ١٦٩)، ترجمة: الشيخ: حس خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٣(١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ومقالة في الإسلام (ص/ ٤١٣)، والأخطاء اللغوية في القرآن الكريم (ص/ ٢٤٦).

(٥) راجع: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٣٢٧).

وبما أن المقدمة الأولى هي أن كلام الله موجه للعرب الأوائل أهل الفصاحة والبيان الذين نزل عليهم القرآن، والمقدمة الثانية هي أن أهل الفصاحة فهموا من آيات التفصيل أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام بخلاف ما فهمه المستشرقون، فينتج من ذلك أنه لا يوجد خلاف بين الآيات.

الوجه الثاني: اللغة العربية: عود الضمائر على الأرض: يقول رحمه الله: "أنتم لم تفهموا. فسبحانه حين قال: ﴿طٰسٓمٓ الٓأَبۡيَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [فصلت: ٩]، فهل تكلم عما تستقيم به الحياة على الأرض؟ إنه عندما تكلم عن الأرض يقول: ﴿طٰسٓمٓ الٓأَبۡيَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ الٓمٓ الٓمٓ حٰمٓ عٓسٓقٓ الٓمٓ الٓمٓرٰ الٓمٓصٓ الٓمٓرٰ الٓمٓ طٰسٓمٓ طٰهٰ يٰسٓ الٓمٓ الٓمٓرٰ حٰمٓ ﴾ [فصلت: ٩، ١٠]، فهذه تكون تتمة الأرض؛ لأنه يتكلم عن الأرض ﴿يٰسٓ الٓمٓ الٓمٓرٰ ﴾، أي: الأرض ﴿حٰمٓ فُصِّلَتۡ الٓمٓرٰ ﴾، وكل ذلك في الأرض. إذن فالمرحلة الثانية مرحلة تتمة خلق الأرض فسبحانه خلق الأرض كَجُرم أولاً، وبعد ذلك جعل فيها الرواسي وجعل فيها الأقوات وبارك فيها. في كم يومًا؟ في أربعة أيام فكأن اليومين الأولين دخلا في الأربعة، لأن هذه تتمة خلق الأرض"[(١)].

فالشعراوي رحمه الله هنا أكد على أن الله خلق الأرض وكل ما يتصل بها في أربعة أيام؛ لأن الضمير يعود في قوله: (وبارك فيها)، و(جعل فيها)، (وَقَدّر فيها) إلى الأرض، فالحديث في كل ذلك عن الأرض فقط، ثم استوى إلى السماء فأتم خلقها في يومين، فيكون مجموع الأيام ستة لا ثمانية.

الوجه الثالث: حمل المفصل على المجمل: يقول رحمه الله: "إذا جاء العدد مجملاً مرة، ومفصلاً مرة، واتفق الإجمال مع التفصيل فلا إشكال. لكن إذا اختلف الإجمال عن التفصيل فعادة يُحْمَل التفصيل على الإجمال، لأن المفصَّل يمكن أن يتداخل ليصير إلى الإجمال"[(٢)].

ثم يُسقط رحمه الله هذه القاعدة على آيات التفصيل، فيقول: "فالأرض خلقها الله في يومين، وجعل فيها رواسي، وبارك فيها، وكل مخلوق ثان هو تَتمَّة للأول، فاليومان الأولان إنما يدخلان في الأربعة الأيام، وأخذت بقية الخلق اليومين الأخيرين، فصار المجموع ستة أيام. إذن: فالزمن تتمة الزمن"[(٣)].

وذكر الزمخشري أن في قوله تعالى: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ سَوَآءً ﴾ [فصلت: ١٠] فذلكة[(٤)] لمدة خلق الله الأرض وما فيها، كأنه قال: إنتهاء كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. وقال الزجاج: في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام، يريد بالتتمة اليومين[(٥)].

الوجه الرابع: ضرب المثال: يؤكد رحمه الله على أنها ستة أيام بضرب المثال من واقع حياة الناس، فيقول رحمه الله: "مثلما تقول: سرت من هنا إلى الإسماعيلية في ساعة، وإلى بورسعيد في ساعتين، فقولك: إلى بورسعيد في ساعتين، يعني أن الساعة الأولى تم حسابها. إذن: فهؤلاء المستشرقون لم يفهموا معطيات القرآن؛ لذلك يقول سبحانه: ﴿ٱلرَّحِيمِ ﴾﴿ ﴾ [النساء: ٨٢] فإن وجدت شيئًا ظاهريًا يثير تساؤلًا في القرآن فأعمل عقلك، وأعمل فكرك كي تعرف أن التناقض في فهمك أنت وليس التناقض في القرآن؛

---

(١) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٤٧٧).
(٢) تفسير الشعراوي (٧/ ٤٣٣٥).
(٣) تفسير الشعراوي (٩/ ٥٦٨٨).
(٤) فَذْلَكَةٌ حسابه فَذْلَكَةً، أي: أنهاه وفرغ منه، وهي مأخوذة من قولهم: فذلك كذا وكذا عدًا كالبسملة والحمدلة، وفذلكة الحساب، أي: مجمل تفاصيله بأن يقال بعدها: فذلك كذا. راجع: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٢٦٥)، وتاج العروس من جواهر القاموس (٢٧/ ٢٩٣).
(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٨٨) بتصرف يسير.

لأنه مِن عند مَن إذا قص واقعًا قصه على حقيقته، وعند مَن لا يغيب شيء عنه، لا حجاب الزمن الماضي، ولا حجاب الزمن المستقبل، ولا حجاب المكان، ولا حجاب المكين"[١].

ذكر موريس بوكاي[٢] أن النص القرآني في سورة فصلت يدعو الإنسان إلى التفكير بالقدرة الإلهية الكاملة ابتداء من خَلْق الأرض وانتهاء بموضوع السموات، وهذا النص القرآني يمثل جزأين معطوفين بكلمة (ثم) التي تعني (بعد ذلك) ولذلك فهي تفرض معنى مترتب على تتابع أحداث، أو تتابع تفكير الإنسان في الأحداث المذكورة في الآيات، ثم ذكر أن مفهوم الآيات يتفق مع المفاهيم العلمية المعاصرة، ثم انتهى إلى أنه لا يوجد أيّ تعارض بين ما هو وارد في سورة فصلت والمفهوم الذي تضمنته الآيات الأخرى عن تكون الكون في ست دورات أو مراحل[٣].

فهذه الآيات من سورة فصلت تؤكد على أنه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولكن المستشرقين يتقولون على كلام الله بقصد التشكيك فيه، ومن ثَمّ لا يوجد تناقض بين الآيات في سورة فُصِّلت التي فَصَّلت الآيات الأخرى، ورحم الله الشعراوي حيث قال: "والحق سبحانه لم يُفصِّل لنا مسألة الخَلْق هذه إلا في سورة (فُصِّلَت) فهي التي فَصَّلت القول في خَلْق السموات والأرض، وهذه من عجائب هذه السورة"[٤].

ومع أن الشعراوي رحمه الله أثبت أنه لا يوجد تناقض بين الآيات في مدة خلق السموات والأرض إلا أنه ذكر أن المقصود باليوم هو يوم من أيام الدنيا حيث ذكر رحمه الله أن اليوم له مدلول عند العرب مرتبط بحركة الشمس والقمر، والله يخاطب العرب بما يعرفونه ويعرفون مدلوله، ولذلك أكد رحمه الله على أن اليوم في اعتباره هو دورة الأرض حول نفسها دورة يتحقق فيها الليل والنهار، وأنه لو كان المراد يومًا لا نعرفه نحن، فسيكون لا معنى له؛ لأننا لا نفهمه[٥]. ثم تساءل رحمه الله: "هل كان هناك من عرف اليوم إلا بعد أن وجدت الشمس؟ وإذا كانت الشمس هي التي تحدد اليوم فكيف عرف اليوم قبلها وخصوصًا أن السماء والأرض حينما خُلقتا لم تكن هناك شمس أو كواكب؟"[٦].

وهذا ما دفع الشعراوي رحمه الله إلى القول بأن الله عز وجل قَدّر خلق السموات والأرض في ستة أيام قبل خلق الشمس، وخاطبنا بذلك بعد أن عَرَّفنا مدة اليوم، فيكون المعنى أنه سبحانه خلقهما في زمن يساوي ستة أيام بتقديرنا نحن الآن[٧].

فالشعراوي رحمه الله أكد على أن المقصود بـ(الأيام) هي أيام الدنيا، وعلل ذلك بأن الله عز وجل يخاطبنا بما نعرف، وإلا كان الكلام لا معنى له على حد قوله رحمه الله. ومع أنه رحمه الله أكد على أن كل كائن له نظام، واستدل على ذلك بكوكب الزهرة فقال: "تجد أن اليوم على كوكب الزهرة أطول من عامها؛ لأن عامها بتوقيت الأرض هو مائتان وخمسة وعشرون يوماً، أما طول اليوم فيها فهو بتوقيت الأرض مائتان وأربعة وأربعون يومًا.

إذن: فاليوم على كوكب الزهرة أطول من العام فيها. والسر في ذلك أن كوكب الزهرة يخضع لدورة تختلف في سرعتها عن سرعة الدورة التي تخضع لها الأرض، فدورة كوكب الزهرة حول نفسه بطيئة، ودورته حول الشمس سريعة. إذن: فكل كائن له نظام"[٨].

---

(١) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٤٧٨).
(٢) هو موريس بوكاي طبيب، وعالم فرنسي، وهو الذي أثبت موافقة ما جاء في القرآن لأحدث الحقائق العلمية في كتابه: "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة". ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه (ص/ ١٣٤) بتصرف يسير.
(٣) ينظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص/ ١٦٩) بتصرف يسير.
(٤) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٩٢).
(٥) راجع: تفسير الشعراوي (٩/ ٥٦٨٩)، (١٧/ ١٠٤٨٧)، (١٩/ ١١٧٩١).
(٦) تفسير الشعراوي (٧/ ٤١٦٥).
(٧) راجع: تفسير الشعراوي (٧/ ٤١٦٥)، (١٩/ ١١٧٩١).
(٨) تفسير الشعراوي (٩/ ٥٦٨٨، ٥٦٨٩).

كما أكد رحمه الله على أن اختلاف (الأيام) وارد في النص القرآني، فذكر رحمه الله أن القرآن الكريم يطلق كلمة اليوم ويفصلها عن الليل، فيقول سبحانه: ﴿الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ ... ﴾ [سبأ: ١٨]، فجعل سبحانه اليوم للضوء والكدح، والليل للظُّلمة والراحة. ومع ذلك أخذ بالحساب الفلكي الذي يسمى الليل والنهار يومًا.

ثم بَيَّن رحمه الله أن اليوم عند الله تعالى يختلف عن يومنا، فهناك يوم عند الله يقدر بألف سنة من أيام الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ [الحج: ٤٧]، أي: في الدنيا، وفي موضع آخر قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ ﴾ [المعارج: ٤][(١)].

وينتهي رحمه الله إلى هذه النتيجة المهمة، وهي قوله: "إذن: فالأزمنة متعددة، ومتنوعة، وتختلف من قياس إلى آخر، ومن كوكب إلى آخر. وما أظهره الله لنا في القرآن من الأزمنة إنما يدل على اختلافها، لا على التعارض والتناقض"[(٢)].

فما ذهب إليه الشعراوي رحمه الله بأن (اليوم) هو اليوم المتعارف عليه بين الناس، يرى الباحث أنه مجانب للصواب خصوصًا بعد استدلاله رحمه الله بكوكب الزهرة والقرآن على أن المدة الزمنية لليوم عند الله سبحانه وتعالى ليست هي المدة الزمنية لليوم المتعارف عليه في الدنيا، وما انتهى إليه من تعدد الأزمنة واختلافها من قياس لآخر وكوكب لآخر كان كافيًا للرد على من يَدَّعِي أن خَلْق السموات والأرض في ستة أيام مناقض للحقائق العلمية الثابتة؛ لأنه من الثابت علميًّا أن خلق السموات والأرض قد استغرق بلايين السنيين.

ويذهب علماء الفلك المعاصرون إلى ما يطلقون عليه (النسبية الزمنية)، وأن لكل كوكب وحداته الزمنية الخاصة به، وذلك يُقدر بالنسبة لسبحها في الفضاء ودورانها في أفلاكها[(٣)].

وقال الشيخ رشيد رضا[(٤)] رحمه الله: "وأما هذه الأيام الستة فهي من أيام الله التي يتحدد اليوم منها بعمل من أعماله يكون فيه، فإن اليوم في اللغة هو الزمن الذي يمتاز بما يحصل فيه من غيره كامتياز أيامنا بما يَحُدها من النور والظلام، وأيام العرب بما كان يقع فيها من الحرب والخصام، ... ولا يُعْقل أن تكون هذه الأيام السّتة من أيام أرضنا، التي يُحَد ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من الساعات المعروفة عندنا، فإن هذه الأيام إنما وُجِدت بعد خَلْق هذه الأرض فكيف يكون أصل خَلْقها في أيامٍ منها؟"[(٥)].

وذكر موريس بوكاي أن استعمال كلمة يوم هنا بمعنى دورة من الزمن، وهو المخالف كل المخالفة لمعناه الشائع، وعلى هذا فإنه يمكننا القول بأن القرآن يعبر عن مراحل خلق العالم بأنها ستة، وبمعنى دورات طويلة من الزمن، وإن فهمنا للفظة (الأيام) الواردة في القرآن بالمعنى الذي ندركه عادة، هو مهزلة[(٦)].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٩/ ٥٦٨٩) بتصرف يسير.
(٢) المصدر السابق (٩/ ٥٦٨٩، ٥٦٩٠).
(٣) مباحث في إعجاز القرآن، د: مصطفى مسلم (ص/ ١٦٩)، دار القلم/ دمشق، ط٣(١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
(٤) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد سنة (١٢٨٢هـ)، من العلماء بالتفسير والحديث والأدب والتاريخ، وهو صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، وتوفي بمصر سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م). ينظر ترجمته في الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٥، ١٢٦)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٣١٠، ٣١١).
(٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (٨/ ٣٩٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م).
(٦) ينظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص/ ١٦٧، ١٦٨) بتصرف.

الفرع الثاني: دعوى تناقض القرآن حول كروية الأرض، ورد الشيخ الشعراوي عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

يقول الشعراوي رحمه الله: "ويُخطئ البعض الفهم عن الله فيظن أن المقصود بذلك أن الأرض بساط أمام الإنسان. وقد ثبتت للبشر حقيقة كونية هي أن الأرض كروية بالأدلة خلال رحلة ماجلان[١] ثم بالقواعد الخاصة بوضع الأعمدة؛ وظهور أعالي الأشياء قبل أسافلها وغير ذلك، ثم صارت في عصرنا مُشاهدة من الأقمار الصناعية. إذن هذه الحقيقة الكونية لا كلام فيها"[٢].

الكنيسة تدعي أن الأرض مسطحة، وكانت تحارب كل من كان يخرج عن هذه العقيدة الكنسية، وتعاقبه بالقتل، كما ادعى كذلك علماء وفلاسفة اليونان القدامى[٣].

المسألة الثانية: الرد عليها:

يبدأ الشعراوي رحمه الله في رده بالتأكيد على حقيقة ثابتة، وهي أنه لا يمكن أن يحدث تصادم بين القرآن وبين الحقائق العلمية في الكون؛ لأنه لو حدث مثل هذا التصادم لضاعت قضية الدين كلها، كما أوضح رحمه الله أن التناقض أو التصادم يكون في الفهم الخاطئ لمدلول الحقيقة القرآنية، أو عدم صحة الحقيقة العلمية[٤].

وبدأ رحمه الله يرد على هذه الدعوى ويبين أن الخطأ كان في فهم مدلول الحقيقة القرآنية الخاصة بقوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَىٰ:﴾ [الحجر: ١٩]، واستدل على ذلك بالعلم التجريبي، فذكر أن الله سبحانه قد مدّ الأرض أمام الإنسان، فإذا ما سار في خط مستقيم عاد إلى النقطة التي بدا منها؛ لأن مُنحنى الأرض مصنوعٌ بدقة شديدة قد لا تدرك العين مقدارَ الانحناء فيه ويبدو مستقيمًا، ولذلك كلما وقف الإنسان في مكان وجد أرضًا لا نهاية لها وليس لها حافة، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية[٥].

وفي موضع آخر يقول رحمه الله: "فَلْنفهم كلمة (المَدِّ) أولًا، ولنفهم أيضًا كلمة (الأرض) وهي التي تقف عليها أنت وغيرك، وتعيش عليها الكائنات، وتمتد شمالًا إلى القُطْب الشمالي، وجنوبًا إلى القُطْب الجنوبي، أيًّا ما كُنْت في أيِّ موقع فهي مَمْدودة شرقًا وغربًا. ومعنى: ﴿﴾﴿... ﴾ [الرعد: ٣] تعني: أنك إن وقفت في مكان وتقدمت منه؛ تجد الأرض ممدودة أمامك؛ ولا توجد حافّة تنتهي لها، ولو أنها كانت مبسوطة لكان لها نهاية، ولكانت على شكل مثلث أو مربع أو مستطيل؛ ولكان لها حافة؛ ولوجدنا مَنْ يسير إلى تلك الحافة، هو يقول: لقد وصلتُ لحافة الأرض؛ وأمامي الفراغ، ولم يحدث أن قال ذلك واحد من البشر.

وإذا ما سار إنسان على خط الاستواء مثلًا؛ فسيظل ماشيًا على اليابسة أو راكبًا لمركب تقطع به البحر أو المحيط؛ ليصل إلى نفس النقطة التي بدأ منها سَيْره. وهكذا نجد الأرض ممدودة غير محدودة،

---

(١) ماجلان: هو رحالة برتغالي يعمل لحساب ملك أسبانيا في الكشوف العلمية. وتُعد رحلة ماجلان من الرحلات المهمة في رحلات الكشف الجغرافي الأسباني، فقد قام بهذه الرحلة إلى الهند عن طريق الغرب مستندًا إلى فكرة كروية الأرض بتكليف من ملك أسبانيا فرديناند، واستغرقت هذه الرحلة حول الكرة الأرضية ثلاثة أعوام (١٥١٩ ـ ١٥٢٢م). ونتج عن هذه الرحلة: إثبات كروية الأرض، والقضاء على الخرافات القائلة عن حجم الأرض، كما نبهت إلى وجود قارة بين أوروبا وآسيا (أمريكا). معالم التاريخ الأمريكي الحديث نشأة الولايات المتحدة الأمريكية، د: إسماعيل أحمد ياغي (ص/ ١٧، ١٨)، مكتبة العبيكان/ الرياض، ط١(١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

(٢) تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٨).

(٣) راجع: العقيدة الإسلامية في مواجهة التنصير، عبد الجليل إبراهيم حمادي الفهداوي (ص/ ٢٥٧)، مكتبة المهتدين الإسلامية/ الأردن، ط١(٢٠٠٨م).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٨) بتصرف يسير.

(٥) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٨)، (١٢/ ٧٦٦٩).

ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الأرض مُكوَّرة، بحيث إذا مشيت مُتتبِّعًا أيَّ خط من خطوط العرض أو خطوط الطول لانتهيت إلى النقطة التي بدأت منها سَيْرك.

وكان هذا هو الدليل الذي يقدمه العلماء على كروية الأرض؛ قبل أن يخترعوا فكرة التصوير من خارج الغلاف الجوي"[١].

فمدّ الأرض دليل على بسطها بغير حافة تنتهي إليها، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية الشكل؛ لأن الشكل الوحيد الذي لا نهاية لبسطه هو الشكل الكروي[٢].

كما استدل رحمه الله على كروية الأرض بعدد من الأدلة منها: الأول: اللغة العربية: ذكر رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْقَنبَرُ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ﴾ [الزمر: ٥] أن التكوير بمعنى اللف، تقول: كَوَّرْتُ العمامة، أي: لففتها على رأسي، فصارت مثل الكرة مُدورة، ولذلك نفهم من قوله: (يكور) أن الأرض كروية[٣].

الثاني: الاستدلال بآيات من القرآن أيدها العلم الحديث منها:

- **قوله تعالى:** ﴿الْقَنبَرُ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ ... ﴾ وما دام الليل يأتي وراء النهار، والنهار يأتي وراء الليل في شبه كرة؛ فالذي يأتي عليه الليل والنهار شكل الكرة. فكأن كلًّا من الليل والنهار دائر وراء الآخر حول كرة؛ لأن الليل والنهار ظاهرةٌ تحدث على سطح الأرض، وقد أثبت العلم هذه الحقيقة بالصور التي التقطوها للأرض من الفضاء[٤].

فالله سبحانه وتعالى ينشر بالتدريج ظلمة الليل على مكان النهار من سطح الأرض المكور فيحوله إلى ليل مكور، كما ينشر نور النهار على مكان ظلمة الليل من سطح الأرض المكور فيحوله نهارًا مكورً، وبذلك يتتابع كل من الليل والنهار على سطح الأرض الكروي بطريقة دورية، مما يؤكد حقيقة كروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس[٥].

- وقوله تعالى: ﴿﴿بِسِيرُوا﴾﴾ [الأنعام: ١١]، حيث ذكر رحمه الله أن الإنسان يمشي في الأرض وليس على الأرض؛ لأن الأرض ظرف يسير فيه الإنسان، والإنسان مظروف في الأرض، وعرفنا متأخرًا أن الجو من الأرض وأن الغلاف الجوي يدور مع الأرض، وقد حدث هذا البلاغ من الله قبل أن نصل بالعلم إلى معرفة أن الأرض كروية ومعلقة في الهواء، والهواء يحيط بها، فمهما سار الإنسان على اليابسة ففوقه الغلاف الجوي. إذن: فالإنسان إنما يمشي في الأرض وليس على الأرض. أما إن سار الإنسان فوق الغلاف الجوي فهو يسير فوق الأرض[٦].

وكروية الأرض أثبتها العلماء المسلمون قبل اكتشافها من قِبَل الغربيين بقرون، ومنهم ابن حزم[٧] رحمه الله حيث يقول: "إن أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت

---

(١) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧١٨٧).
(٢) من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم (ص/ ٢٤٠).
(٣) راجع: تفسير الشعراوي (٢١/ ١٣٠٣١، ١٣٠٣٢).
(٤) راجع: تفسير الشعراوي (٦/ ٣٧٨٥)، (٢١/ ١٣٠٣١، ١٣٠٣٢).
(٥) من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم (ص/ ٢٤٠).
(٦) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٨)، (٦/ ٣٥١٨).
(٧) هو الإمام العلامة: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي، القرطبي اليزيدي، عالم عالم الأندلس في عصره، وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم (الحزمية). ولد سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة (٤٥٦هـ). ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء(١٨/ ١٨٤) ومابعدها، والوافي بالوفيات (٢٠/ ٩٣)وما بعدها، والعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤، ٢٥٥).

بتكويرها"[١]. وقال الرازي رحمه الله: "ثبت بالدلائل أن الأرض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه"[٢]. وقال أبو حيان رحمه الله: "ثبت بالدليل ان الأرض كرة، ولا ينافي ذلك قوله: (مَدَّ الْأَرْضَ)، وذلك أن الأرض جسم عظيم. والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تُشاهد كالسطح، والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل إلا في علم الله تعالى"[٣].

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٢/ ٧٨)، مكتبة الخانجي/ القاهرة، (دت).
(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٩/ ٥).
(٣) البحر المحيد في التفسير (٦/ ٣٤٦).

الفرع الثالث: دعوى تناقض القرآن حول قضية المشرق والمغرب، ورد الشيخ الشعراوي عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

ذكر الشعراوي رحمه الله أن المستشرقين يقولون: إن في القرآن تناقضًا في الكونيات، فقالوا: لقد جاء في القرآن: ﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر﴾ [الشعراء: ٢٨]، وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم﴾[الرحمن: ١٧]، وفي آية ثالثة يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم **قال تعالى**:...﴾ [المعارج: ٤٠]. ثم ذكروا أن بين هذه الآيات تناقض ظاهر(١).

المسألة الثانية: الرد عليها:

يقول الشعراوي للمستشرقين: مستحيل، أي: أن يكون هناك تناقض بين الآيات. ثم بدأ في رده عليهم مستشهدًا بالتقدم العلمي على بطلان دعواهم فقال: "ونرد: إن التقدم العلمي جعلنا نفهم بعمق معنى هذه الآيات، فكل مكان على الأرض له مشرق وله مغرب، هذه هي النظرة العامة، إذن فقوله تعالى: ﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة﴾ [الشعراء: ٢٨] صحيح، ثم عرفنا أن الشمس حين تشرق عندي، تغرب عند قوم آخرين، وحين تغرب عندي تشرق عند قوم آخرين، إذن فمع كل مشرق مغرب ومع كل مغرب مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان. ثم عرفنا أن الشمس لها مشرق كل يوم ومغرب كل يوم يختلف عن الآخر. وفي كل ثانية هناك شروق وغروب، إذن فالقسم هنا ﴿الرحيم بسم الله الرحمن﴾ [المعارج: ٤٠]؛ لأن المشارق والمغارب مختلفة على مدار السنة"(٢).

فوجود كل من المشرق والمغرب يؤكد على كروية الأرض، وتبادلهما يؤكد على دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من الغرب إلى الشرق، وفي الوقت الذي تشرق فيه الشمس على جهة ما من الأرض تكون قد غربت في نفس اللحظة عن جهة أخرى، ولما كانت الأرض منبعجة قليلًا عند خط الاستواء كانت هناك قمَّة عُظمى للشروق وأخرى للغروب ﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة﴾ [الشعراء: ٢٨]، ولما كانت الشمس تُشرق على الأرض في الفصول المختلفة من نقاط مختلفة، كما تغرب عنها من نقاط مختلفة، بسبب ميل محور دوران الأرض بزاوية مقدارها (٢٣.٥) درجة على مستوى فلك دورانها حول الشمس؛ كانت هناك مشارق عديدة ومغارب عديدة ﴿الرحيم بسم الله الرحمن﴾ [المعارج: ٤٠]، وكانت هناك نهايتان عُظميان لكل من الشروق والغروب تتبادلان، فقال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم بسم﴾[الرحمن: ١٧] وينتشر بين هاتين النهايتين العظميين نقاط متعددة لكل من الشروق والغروب على كلٍّ من خطوط الطول وخطوط العرض، وعلى مدار السنة؛ لأن دوران الأرض حول محورها أمام الشمس يجعل النور المنبثق عن ضوء هذا النجم ينتقل على سطح الأرض الكروي باستمرار من خطٍّ عرض إلى آخر، ومن خط طول إلى آخر محدثًا عددًا لا نهائيًّا من المشارق والمغارب المتعاقبة في كل يوم.

ووجود كلٍّ من جهتي المشرق والمغرب والنهايات العظمى لكل منهما وتبادلهما، فيصبح المشرق مغربًا، والمغرب مشرقًا، وما بينهما من مشارق ومغارب عديدة، وتتابع تلك المشارق

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (٨/ ٥٠٨٥) بتصرف يسير.
(٢) المصدر السابق (٨/ ٥٠٨٥، ٥٠٨٦).

والمغارب على سطح الأرض يؤكد على كروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس، وميل محور دورانها على مستوى فلك دورانها، وكل ما ينتج عن ذلك من تعاقب الليل والنهار، وتبادل الفصول المناخية، واختلاف مطالع الشمس ومغاربها على مدار السنة(١).

الفرع الثالث: نظرية انفصال الأرض عن الشمس، ورد الشيخ الشعراوي عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

يقول الشعراوي رحمه الله: "من النظريات التي قالوا بها وجانبت الصواب قولهم: إن المجموعة الشمسية ومنها الأرض تكوَّنت نتيجة دوران الشمس وهي كتلة ملتهبة، فانفصل عنها بعض (طراطيش)، وخرج منها بعض الأجزاء التي بردت بمرور الوقت، ومنها تكونت الأرض، ولما بردت الأرض أصبحت صالحة لحياة النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان بدليل أن باطن الأرض ما يزال ملتهباً حتى الآن. وتتفجر منه براكين كبركان (فيزوف)(٢) مثلاً"(٣).

وفي موضع آخر يقول: "من القضايا التي تخبَّط فيها علماء الجيولوجيا ما ذهبوا إليه من أن السماء والأرض والشمس كانت جميعًا جزءًا واحدًا، ثم انفصلت عن بعضها"(٤).

المسألة الثانية: الرد عليها:

يؤكد الشيخ الشعراوي رحمه الله على بطلان هذه النظرية، وذلك من عدة وجوه: **الأول: إثبات عدم صحتها**، حيث ذكر رحمه الله أن هذه النظرية لم تثبت صحتها(٥).

وهذه النظريات والفرضيات التي تناولت موضوع تكوّن كوكب الأرض كثيرة، فمنها ما ثبت عدم صحتها، ومنه ما هو قابل للتعديل والتغير والتبديل؛ لأنها ليست حقائق علمية ثابتة، وإنما هي فروض ونظريات تحتاج إلى الكثير من التّفسير والتّعليل والتّحقّق.

ولذلك يمكن القول بأن كل ما ذكر العلماء حول نشأة الكون منذ ميلاد الإنسان وحتى اليوم هو عبارة عن افتراضات ظنية لا تدعمها الأدلة اليقينية، فقد ذكر الأستاذ سمارت: أننا ربما لن نعلم الطريقة الحقيقية التي تكونت بها كواكب هذه المجموعة، وكيف جاءت إلى الوجود. كما ذكر العالم الكيميائي هارولد أوري الحاصل على جائزة نوبل عام (١٩٣٤م) أنه عندما يتعرض باحث لمشكلة نشأة الأرض وتفسير ميلادها يجد نفسه في حاجة ماسة إلى معجزات إلهية تساهم في هذا التفسير مهما كانت دقة المناهج العلمية التي يستعين بها(٦).

وبعض العلماء يرى أن قيمة هذه النظريات والفرضيات أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية والحيوية، وهو ما يسميه العلماء بالتفسير العلمي للآيات الكونية وهو: توظيف كل

---

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية (ص/ ٢٧٣، ٢٧٤)، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية، (دت).

(٢) بركان فيزوف: هو من أشهر البراكين في التاريخ، وذلك في عام (٧٩م)، وضرب مدينتي بومبي وهيركولنيوم جنوب نابلي بإيطاليا، وغطاهما بطبقة كثيفة من الرماد البركاني، وبقيت هاتان المدينتان في طي النسيان مدة (١٧٠٠) سنة إلى أن عُثر عليهما؛ ليرى الناس آثار تدمير بركان فيزوف الذي هدأ لمدة (١٥٠٠) سنة، ثم عاد ليثور عام (١٦٣١م)، وقتل وقتها (١٨) ألف نسمة، ومنذ ذلك الحين وهذا البركان لم يخمد بشكل نهائي. ينظر: لسنا بمأمن من جنود الله، الدكتور المهندس: خالد فائق العُبَيدي (ص/ ٢٩٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(٢٠٠٧م) بتصرف يسير.

(٣) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٥٢٣). ولمزيد تفصيل وبيان لهذه النظريات القديمة والحديثة ينظر: أساسيات الجغرافيا الطبيعية، د : علاء داود المختار، د: حسين مجاهد مسعود (ص/ ٢٣ ـ ٣٠)، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط١(١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

(٤) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٥٩٦).

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (٩/ ٥٧٧٥).

(٦) ينظر: من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء والأرض في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، د: حسن أبو العينين (١/ ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠) بتصرف، مكتبة العبيكان/ الرياض، ط٢(١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

المعارف المتاحة من الحقائق والثوابت العلمية، ولكن بما أن العلم لم يصل بعد إلى الحقيقة في كل الأمور، ولا يزال أمامه من الغيب الشيء الكثير فلا مانع من توظيف: النظريات، والفروض والمشاهدات إذا لم تتوفر الحقائق والقوانين؛ لأن التفسير يبقى جهدًا بشريًّا لحسن فهم دلالة الآية. أما الإعجاز العلمي للقرآن فلا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعي من الثوابت العلمية(١).

ويؤيد هذا القول الدكتور زغلول النجار حيث يقول: "وتتعدد النظريات في مجال الخلق بتعدد خلفيات واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله سبحانه وتعالى في آية قرآنية كريمة، أو في حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن يعين المسلم على الارتقاء بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة، لا لأن العلوم المكتسبة قد وصلت فيها إلى الحقيقة، ولكن لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم"(٢).

ومع أن الشعراوي رحمه الله يُعد من القائلين بالتفسير العلمي للقرآن الكريم إلا أنه قَيّد ذلك بعدة شروط منها: عدم ربط القرآن إلا بالحقيقة العلمية الثابتة التي لا تقبل التبديل ولا التعديل، ولذلك لم يوافق رحمه الله على توظيف مثل هذه النظريات التي أثبت العلم فشل الكثير منها، وما زال بعضها محل بحث ودراسة من العلماء، حيث يقول رحمه الله: "فعلينا - إذن - ألّا نربط القرآن بالنظرية التي تحتمل الصدق أو الكذب، حتى لا يتذبذب الناس في فَهْم القرآن، ويتهمونا أننا نُفسِّر القرآن حَسْب أهوائنا. أما الحقيقة العلمية الثابتة فإذا جاءت بحيث لا تُدفَع فلا مانع من ربطها بالقرآن"(٣).

الوجه الثاني: الدليل العقلي: يستدل رحمه الله على بطلان هذه النظريات بدليلين: **الأول: القياس العقلي:** يذكر رحمه الله أنه إذا كانت الأرض قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها، فمن الطبيعي مع مرور الزمن أن تبرد وتقل حرارتها حتى تنتهي بالاستطراق الحراري. إذن: فهذه نظرية غير سليمة(٤).

ويُعرف الشعراوي رحمه الله الاستطراق بأنه وسيلة السيولة، وهو الذي قامت عليه أساليب نقل المياه من صهاريج(٥) المياه التي تكون في الأعلى من طول أي منزل، ويتم ضخ المياه إليها؛ لتتوزع من من بعد ذلك على المنازل حسب نظرية الأواني المستطرقة التي نضع فيها سائلًا ينفذ في أنابيب متعرجة وأخرى مستقيمة، فيرتفع السائل فيها بمستوى واحد(٦)، ومَثَّل رحمه الله للاستطراق الحراري بالمدفأة حين نأتي بها في الشتاء ونجلس في الغرفة، ونشعر بالحرارة التي تشع منها(٧).

وبذلك يمكن القول بأن اختلاف درجات الحرارة في الأرض يدل على بطلان هذه النظريات؛ لأنها لو كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها؛ لأدى ذلك إلى تساوي درجات الحرارة في الأرض.

الدليل الثاني: أكد رحمه الله على أن هذه النظريات لا تخضع للعلم التجريبي أبدًا؛ لأن المعمل التجريبي إنما يحلل مواد موجودة بالفعل، ولم يكن هناك أحد مع الله ساعة خلق الخلق ليقول لنا: كيف تم ذلك؟ إذن: فالحكم على أمور بغير ما أخبرنا الله بها أمر باطل(٨).

الوجه الثالث: الاستشهاد بالقرآن: ذكر الشعراوي رحمه الله أن قول هؤلاء المستشرقين بمثل هذه النظريات يقتضي أنهم عرفوا شيئًا عن خَلْقِ السموات والأرض لم يخبر الله به. ويدل الإعجاز البياني في القرآن على أن بعضًا مِمَّن يملكون الطموح العقلي أرادوا أن يأخذوا من القرآن أدلة على صِحَّة تلك

---

(١) ينظر: من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم (ص/ ٣٣).
(٢) من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم (ص/ ٣٣).
(٣) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٥٢٠).
(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٥٢٣) بتصرف يسير.
(٥) الصهاريج: جمع صِهْرِيج، وهو حوض يجتمع فيه الماء. تاج العروس من جواهر القاموس (٦/ ٧٥)، مادة/ صهرج. صهرج.
(٦) الاستطراق: اتخاذ المكان طريقًا. والأواني المستطرقة: هي المعدنيات القابِلة للطَّرْق، وفي الطبيعة: عدّة أنابيب مختلفة الأحجام والأشكال متَّصل بعضُها ببعض بأنبوبة أفقيَّة، إذا وُضِع سائل في إحداها ارتفع سطح السّائل إلى مستوى أفقي واحد. ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٥٦)، مادة/ طرق بتصرف يسير.
(٧) راجع: تفسير الشعراوي (٦/ ٣٧٢٦)، (١٠/ ٦١٧٩) بتصرف يسير.
(٨) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٢٨٦٣)، (١٧/ ١٠٤٨٨).

النظريات، فيبلغنا الحق سبحانه مقدَّمًا ألّا نصدقهم، فيقول: ﴿الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ﴾ [الكهف: ٥١]، وما داموا لم يشهدوا خلق السموات والأرض فلابد أن نأخذ ذلك عن الله، وما يأتينا عن غيره سبحانه وتعالى فهو ضلال وزيف.
كما أكد رحمه الله على أن كل البحوث التي كتبت في كيفية خلق السموات والأرض ستظل نظريات بلا دليل، وأنها لن تصل إلى الحقيقة، ولذلك قال تعالى: ﴿الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ﴾ [الكهف: ٥١]، والمضل الذي يأخذ بيدك من الحقيقة إلى الباطل، فلو لم يأت هؤلاء المضلون الذين يقولون: خُلقت السموات والأرض بطريقة كذا؛ لقلنا: إن الله تعالى أخبرنا في القرآن أنهم سيأتون ولم يأتوا. إذن، فوجود المضللين هو عين الدليل على صدق الله عز وجل[١].

المطلب الثالث
جهود الشيخ الشعراوي في الرد على المستشرقين حول دعواهم تناقض القرآن مع خلق الإنسان

الفرع الأول: ادعاء المستشرقين تناقض القرآن في تكوين الإنسان، والرد عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

ذكر الشعراوي رحمه الله أن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد الحق سبحانه مرة يقول: ﴿يُونُسَ هُودٍ﴾ [الحج: ٥]، ومرة: ﴿﴾ [الطارق: ٦]، ومرة أخرى: ﴿يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ﴾ [المؤمنون: ١٢]، و﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ﴾[الحجر: ٣٣]، و﴿الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ﴾ [الرحمن: ١٤] ولذلك وقف المستشرقون معترضين، فقالوا: من أيّ هذه الأشياء شيء خُلق الإنسان[٢][٣].
الإنسان[٢][٣].

المسألة الثانية: رد الشيخ الشعراوي عليها:

يرد الشيخ رحمه الله على هذه الدعوى كما عَوّدنا بأسلوبه السهل البسيط، فأكد على أنه لا يوجد تناقض بين الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان وهي متكاملات لا متقابلات؛ لأنها تتحدث عن مراحل تكوينه، وهو ما غفل عنه المستشرقون بسبب عدم فهمهم للغة القرآن الكريم.
ثم بدأ رحمه الله في توضيح ذلك، فذكر أن أصل خَلْق الإنسان من ماء خُلط بالتراب، ثم وُضِع عليه الماء فصار طينًا، ثم إذا تُرك هذا الطين إلى أن يختمر يعطن ويتعفن ويصير حمأ مسنونًا؛ لأن الحمأ طينٌ اختمر فتغيرت رائحته، ثم جف هذا الطين بعد ذلك فصار صلصالًا[٤] كالفخار، ومنه خلق اللهُ اللهُ الإنسان وصوَّره، ونفخ فيه من روحه، وبذلك تكون الآيات كلها حلقات متكاملة تدل على المراحل المتعددة لخلق الإنسان[٥].

---

(١) راجع: تفسير الشعراوي (١/ ٢٢٩، ٢٣٠)، (٢/ ٦٨٥)، (٦/ ٣٤٩٥)، (١٢/ ٧١٦٦).
(٢) راجع: تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٧٠٣)، (٢٠/ ١٢٧٤٩).
(٣) راجع: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين (ص/ ٢٦٣) وما بعدها، ودفاع عن القرآن الكريم في وجه الملاحدة والمغرضين (ص/ ٢٧١)، والأجوبة الجلية في الرد على الأسئلة المسيحية (ص/ ١٤٠).
(٤) الحمأ: الطين الأسود المنتن، والمسنون: المتغير المنتن، والصلصال: كل ما جف من الطين أو فخار. ينظر: لسان العرب: مادة/ حمأ (١/ ٦١)، ومادة/ سنن (١٣/ ٢٢٧)، ومادة/ صلل (١١/ ٣٨٢).
(٥) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٢٨٦٤)، (٦/ ٣٤٩٦)، (١٢/ ٧٦٨٩)، (١٦/ ٩٧٠٣)، (٢٠/ ١٢٧٥٠ - ١٢٧٥٢).

وهذا ما أكده القرطبي رحمه الله حيث قال: "ذلك متفق المعنى؛ وذلك أنه أُخِذ من تراب الأرض فعجنه فصار طينًا، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالًا كالفخار"(١).

ويستدل الشعراوي رحمه الله على صحة ما ذهب إليه بالآتي:

أولًا: الدليل العقلي: الاستدلال بالمُشَاهد على الغيب: يقول رحمه الله: "والحق نبهنا إلى هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ...﴾ [فصلت: ٣٥] فنحن لم نشاهد عملية الخلق، إنما أخبرنا الله بها، فعلمنا أن الإنسان خُلق من الطين الذي مر بهذه المراحل، حتى نفخ الله فيه الروح، ودبّت فيه الحياه، هذا كله لم نشاهده، لكن شاهدنا الموت الذي ينقض الحياة، وعلينا أن نأخذ مما نشاهده دليلًا على صدق الغيب الذي أخبرنا الله به ولم نشاهده.

ونحن نعلم أن نَقْض الشيء يأتي على عكس بنائه، فالذي يهدم عمارة مثلًا من عدة أدوار يبدأ بالدور الأخير، كذلك يأتي الموت عكس الحياة"(٢). "ولك أنْ تتأملَ الإنسان حينما يموت، فأول نَقْض لبنيته أن تخرج منه الروح، وكانت آخر شيء في بنائه، ثم يتصلّب الجسد ويتجمد، كما كان في مرحلة الصلصالية، ثم يتعفَّن وتتغير رائحته، كما كان في مرحلة الحمأ المسنون، ثم تمتص الأرض ما فيه من مائية ليصير إلى التراب كما بدأه خالقه من تراب"(٣). "وهكذا نشهد في الموت نقض الحياة كيفية بَدْء مراحل الخَلْق وهي معكوسة؛ فالماء أولاً ثم التراب؛ ثم الطين؛ ثم الصلصال الذي يُشبه الحمأ المسنون؛ ثم نَفْخ الروح. وقد صدق الحق سبحانه حين أوضح لنا في النقيض المادي، ما أبلغنا عنه في العالم الغيب"(٤).

ومراحل الموت متشابهة تمامًا مع مراحل خَلْق آدم عليه السلام ولكن بطريقة عكسية، فالروح هي التي صنعت الخلايا والأعضاء والأجهزة العضوية من الصلصال من حمأ مسنون المشكل بصورة آدم، وهي التي منحت للجسد بعد اكتماله: الإرادة والعقل والإحساس والقدرة على الحركة، وأكسبته الصفات الإنسانية المختلفة التي قدّرها الله عز وجل له.

ويبدأ الموت بمفارقة الروح للجسد، ويحمل معه الإرادة، والعقل، والإحساس، والشعور، والسلوك الفطري والمكتسب، وكتاب أعمال الإنسان. وبخروج الروح يحدث توقف تام للخلايا العصبية المركزية الموجودة بالمخ، فتتوقف نتيجة لذلك جميع أجهزة الجسم. وبرغم خروج الروح يظل في جسد الإنسان حياة لعدة ساعات، كحياة الخلايا الحية المشكلة لأعضاء الجسم فقط، ولكنها لا تستطيع تشغيل هذه الأجهزة العضوية؛ لموت العقل اللاإرادي الذي كان يقوم بتشغيل الأجهزة العضوية في نفس اللحظة التي فارقت فيها الروح الجسد.

ونفس الحال حدث عند خَلْق آدم عليه السلام، فعندما دخلت الروح على الصلصال من حمأ مسنون صنعت منها الخلايا الحية، ثم الأنسجة والأعضاء والأجهزة العضوية، ثم قامت بتشغيل العقل اللاإرادي المشغل لهذه الأجهزة، وفي نفس الوقت وهبت آدم عليه السلام الإرادة والشعور والإحساس والعقل الإرادي.

وهذا يدل على أن الروح في البداية وهبت الحياة للجسد، ثم وهبت بعد تمام حياة الجسد الحياة للإنسان، وعند الموت حدث العكس خرجت الروح فسلبت الحياة من الإنسان، وبقي نوع ما من الحياة في الجسد (حياة الخلايا).

وبعد عدة ساعات يبدأ الإنسان في التحلل على النحو التالي:

- **مرحلة التيبس**، وتبدأ بعد الموت بحوالي بساعتين، حيث تتيبس جميع عضلات الجسم، ويكتمل تيبس العضلات بعد حوالي اثنتي عشرة ساعة، ويستمر ذلك لحوالي أربع وعشرين ساعة تبدأ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٦١).
(٢) تفسير الشعراوي (٢٠/ ١٢٧٥٢، ١٢٧٥٣).
(٣) تفسير الشعراوي (١٨/ ١١٣٥٣).
(٤) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٦٩٠).

بعدها العضلات في الارتخاء تدريجيًّا. ويمكن أن نطلق عليها: **مرحلة (الصلصال كالفخار)**؛ لأن اللحم والجلد والجسد بأكمله أصله من الطين فإذا تيبس يمكن تشبيهه بـ(الصلصال كالفخار)، وهذه المرحلة هي التي مرّ بها آدم عليه السلام قبل تشغيل الجهاز النفسي به.

- **مرحلة التعفن**، وتبدأ بعد تيبس الجسم نتيجة لتأثر الخمائر (الإنزيمات) الموجودة داخل الخلايا بالإضافة إلى الميكروبات المركزة داخل القولون بالقناة الهضمية، وأيّ ميكروبات أخرى داخل الجسم. فتبدأ عمليات التحلل الذاتي للخلايا في أنسجة الدماغ والأعضاء اللينة الأخرى مثل: الكبد، والبنكرياس، والغدد، والأمعاء، ويتصاعد نتيجة لذلك غازات وسوائل عفنة ذات رائحة كريهة، أي: يتصاعد حمأ مسنون. وهذه الغازات تؤدي إلى انتفاخ البطن، وخلال يومين أو ثلاثة تخرج محتويات الأمعاء من فتحة الشرج، وتنفجر البطن في النهاية، ويتسلخ جلد الجسم كله خلال الأسبوع الثاني من الوفاة. ويمكن أن نطلق عليها: **مرحلة (الحمأ المسنون)**؛ لأن الجسد بعد التيبس يتحلل وتنبعث منه روائح كريهة ونتنة كـ(الحمأ المسنون). وهذه المرحلة هي التي مر بها آدم عليه السلام وحولت فيها الروح هذه السوائل والغازات والمواد العضوية والصلصال ـ الطين المتيبس ـ إلى خلايا، ثم أنسجة، ثم أعضاء، ثم أجهزة عضوية.
- **مرحلة ما بعد انفجار البطن**، حيث تتسرب المواد الموجودة بداخل الإنسان إلى الأرض فتختلط بها، ثم تتحول في النهاية إلى تراب، وما يتبقى من الجسد يتحول تدريجيًّا إلى تراب، ولا يتبق بعد ستة أشهر سوى العظام والغضاريف التي تتحول أيضًا مع مرور الزمن إلى تراب(١).

ثانيًا: الاستدلال بالعلم الحديث: ذكر الشعراوي رحمه الله أن علماء التحاليل في معاملهم لما حللوا عناصر التربة المخصبة التي نأكل منها المزروعات أثبتوا صِدْق القرآن في هذه الحقيقة، وهي خَلْق الإنسان من طين، حيث وجدوا أن العناصر المكوِّنة لجسم الإنسان هي نفسها العناصر الموجودة في التربة، وهي ستة عشر عنصرًا، أقواها الأكسجين، ثم الكربون، ثم الهيدروجين، ثم النيتروجين، ثم الصوديوم، ثم الماغنسيوم، ثم البوتاسيوم ... الخ. والمراد هنا التربة الطينية الخصْبة الصالحة للزراعة؛ لأن الأرض عامة بها عناصر كثيرة قالوا: مائة وثلاثة عشر عنصرًا.

فأقام الله العلماء من الكفار؛ ليثبتوا الدليل على صِدْق القرآن الكريم في خَلْق الإنسان من طين؛ لنعلم أنه سبحانه حينما يريد أن يُظهِر سِرًّا من أسرار كونه يأتي به ولو على أيدي الكفار(٢).

ومما يجب التنبيه عليه أن الإمام الشعراوي رحمه الله ذكر أن عناصر جسم الإنسان تتكون من ستة عشر عنصرًا، وكان ذلك في وقت تفسيره لهذه الآيات، وقبل أن يكتشف العلماء بقية العناصر، فقد أثبت العلم الحديث بعد تحليله لجسم الإنسان أنه يتكون من نفس عناصر التراب تمامًا، ولكن لا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة في جسم الإنسان، فهناك أكثر من مائة عنصر في الأرض بينما لم يكتشف منها سوى اثنين وعشرين عنصرًا في تركيب جسم الإنسان.

فالتحليل المخبري يقول: لو أرجعنا الإنسان إلى عناصره الأولية؛ لوجدناه أشبه بمنجم صغير، يشترك في تركيبه حوالي اثنين وعشرين عنصرًا، تتوزع بشكل رئيسي على:

- الماء ويتكون من: أكسجين، وهيدروجين على شكل ماء بنسبة ٦٥ـ ٧٠% من وزن الجسم.
- الكربون، والهيدروجين، والأكسجين وتشكل أساس المركبات العضوية من سكريات، ودسم، وبروتينات، وفيتامينات، وهرمونات، أو خمائر.
- مواد جافة يمكن تقسيمها إلى: سبع مواد، وهي: الكلور، والكبريت، والفوسفور، والمغنيزيوم، والكلس، والبوتاسيوم، والصوديوم، وهي تشكل: ٦٠ـ ٨٠% من المواد الجافة.

---

(١) راجع: الهندسة الوراثية في القرآن وأسرار الخلق والروح والبعث، هشام كمال عبد الحميد (ص/ ١٤٢ ـ ١٤٤)، مركز الحضارة العربية/ القاهرة، ط١(٢٠٠٢م).

(٢) راجع: تفسير الشعراوي (٢/ ٦٨٥، ٦٨٦)، (١٦/ ٩٩٧٨)، (١٨/ ١١١٦٨)، (١٩/ ١١٨٠٥)، (٢٠/ ١٢٧٥٣).

- إضافة إلى سبع مواد أخرى بنسبة أقل، وهي: الحديد، والنحاس، واليود، والمنغنيز، والكوبالت، والتوتياء، والمولبيديوم.
- ستة عناصر بشكل زهيد، وهي: الفلور، والألمنيوم، والبور، والسيلينيوم، والكادميوم، والكروم(١).

ثالثًا: ضرب المثال: يضرب الشعراوي رحمه الله المثال من واقع حياة الناس؛ ليقرب المعنى إلى الأذهان، فيقول: "ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأنها أطوار للمادة الواحدة كما بينَّا، كالثوب الذي تلبسه تقول: هذا الثوب من القطن، أو من الغزل أو من النسيج، فهي مراحل تمر بها المادة الواحدة.

فليس في هذا تناقض في المراحل، إنما التناقض في أن يكون الشيء مرتبة واحدة، ثم تجعله مراتب، إنما هذه المسألة مراحل لمرتبة الواحدة، كالطفل يصير غلامًا، ثم شابًّا، ثم رجلًا، ثم كهلًا ... إلخ كلها مراحل لإنسان واحد(٢).

الفرع الثاني: الادعاء بأن العلم الحديث يعلم ما في الأرحام، والرد عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

ذكر الشعراوي رحمه الله عند أن بعض السطحيين اعترضوا على قوله تعالى: ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ نُورٌ ٱلْجِنِّ﴾ [لقمان: ٣٤]، وحاولوا أن يثبتوا تعارض القرآن الكريم مع العلم الحديث، فقالوا: إن العلم يعرف نوعية الجنين قبل الميلاد، أهو ذكر أم أنثى(٣).

المسألة الثانية: رد الشيخ الشعراوي عليها:

أبطل الشيخ الشعراوي رحمه الله هذه الدعوى بثلاثة أدلة: **الأول: الدليل العقلي:** استدل رحمه الله بأن "هذا التقدم العلمي يتطرق إليه الاحتمال، وكل شيء يتطرق إليه الاحتمال يبطل به الاستدلال"(٤).

وهذه القاعدة من القواعد المنتشرة في كتب الأصول والخلاف(٥)، ومعناها: أن الدليل لا يثبت بالاحتمال والشك، وإنما يثبت بقوة الحُجّية، ونصاعة البرهان. فهذه التحاليل والأشعة مهما بلغت من الدقة والقطع بالصحة في نظر المختصين، إلا أنها تظل محل شك؛ لأنه قد يشوبها الاحتمال أو الخطأ. وأما عِلْم الله سبحانه وتعالى فلا مجال للخطأ فيه إطلاقًا؛ لأنه يعلم الأشياء علمًا كاملًا.

الدليل الثاني: اللغة العربية: هناك فرق في اللغة بين (من) و(ما) فـ(مَنْ) للعاقل، و(ما) لغير العاقل، والتحدي المقصود به أن يُعلم ما في الأرحام وليس مَن في الأرحام، ولذلك قال رحمه الله: "مَن قال: إن الحق يقصد بـ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ نُورٌ ٱلْجِنِّ﴾ [لقمان: ٣٤] ذكرًا أو أنثى فحسب؟ وهل لمدلولها وجه واحد؟ لا، بل له وجوه متعددة فلن يعرف أحد أن ما في الرحم سيكون من بعد إنسانًا طويلًا أو قصيرًا؛ ذكيًّا أو

---

(١) راجع: الهندسة الوراثية في القرآن وأسرار الروح وخلق الإنسان، محمد محمود عبد الله (ص/ ١٩، ٢٠)، مكتبة الإيمان بالمنصورة/ مصر، ط١(١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) بتصرف يسير.

(٢) تفسير الشعراوي (٢٠/ ١٢٧٤٥).

(٣) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٧)، (١٢/ ٧٢٣١)، (١٩/ ١١٧٦٨).

(٤) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٢٣١).

(٥) راجع: المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ص/ ١٠٨)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١(١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، والقواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي (ص/ ٣١١)، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

غبيًّا؛ شقيًّا أو سعيدًا؛ طويل العمر أو قصير العمر؛ حليمًا أو غضوبًا. فلماذا نحصر (ما) في مسألة الذكر والأنثى فقط؟"[١].

ذكر الشيخ الشنقيطي[٢] رحمه الله أن لفظة (ما) في الآية موصولة بلا نزاع، أي: ويعلم الذي في الأرحام، وعلى هذه يكون المعنى: يعلم ما تحمله من الولد على أيِّ حال هو من ذكورة وأنوثة، وخِداج، وحُسْن، وقُبْح[٣].

وذكر ابن عاشور رحمه الله أن الله عز وجل ينفرد بجميع اطوار الإنسان من نطفة وعلقة ومضغة، ثم من كونه ذكرًا أو أنثى، وإبّان وضعه بالتدقيق، كما ذكر أنه جيء بالفعل المضارع (يعلم)؛ ليفيد تكرر العلم بتبدل تلك الأطوار والأحوال، وعلى هذا يكون المعنى: أنه سبحانه ينفرد بعلم جميع تلك الأطوار التي لا يعلمها الناس[٤].

الدليل الثالث: العلم بواسطة الأشعة والتحاليل عَلْم شهادة لا غيب: يقول رحمه الله: "الطبيب يعلم الآن نوع الجنين، إما من صورة الأشعة أو التحاليل التي يُجريها على عينة الجنين، وهذا لا يُعتبر علمًا للغيب"[٥]. وفي موضع آخر يقول: "أنتم بسلطان العلم علمتم ما في الأرحام بعد أن تكوَّن ووضحتْ معالمه، واكتملتْ خِلْقته، أما الخالق عز وجل فيعلم ما في الأرحام قبل أن تحمل الأم به، ألم يُبشِّر الله تعالى نبيه زكريا عليه السلام بولده يحيى قبل أن تحمل فيه أمه؟ ونحن لا نعلم هذا الغيب بذواتنا، إنما بما علّمنا الله، فالطبيب الذي يُخبرك بنوع الجنين لا يعلم الغيب، إنما مُعلَّم غيب"[٦].

فالطبيب لا يعلم بما في الأرحام إلا بعد اكتمال تكوين الجنين وتخلقه فينتقل بذلك من عالم الغيب إلى عالم الشهادة؛ لأن الرحم بما فيه يعتبر عالمًا منظورًا ومشاهدًا ومحسوسًا، يستطيع الإنسان أن يعرف ما بداخله حتى بدون توفر الأجهزة الحديثة. والمتفحص لكتب الطب القديمة يرى فيها وصفًا دقيقًا لأجهزة الجسم عامة لأوضاع الجنين، وحالاته في بطن أمه[٧].

وهذا كما لو علم أحد من الناس بواسطة الإنترنت أو التلفزيون أنه قد وقع فيضان في بلد ما، فادعى أنه يعلم الغيب، وأخبر من حوله بهذا الفيضان، فهل يُعد ذلك علمًا بالغيب؟ لا؛ لأنه عُلِم بواسطة، فكذلك الطبيب يعلم نوعية الجنين بواسطة الأجهزة الحديثة، وهذا لا يُعد علمًا بالغيب.

وينتهي رحمه الله إلى أنه لا يمكن أبدًا أن تتعارض الحقيقة القرآنية مع الحقيقة الكونية، وأن التعارض الظاهر في قوله تعالى: بـ﴿ ٱلْحَقَّةُ ٱلْمَعَارِجِ نُوحٍ ٱلْجِنِّ ﴾ [لقمان: ٣٤] حدث عندما فهمنا فهمًا خطأ أن الحقيقة القرآنية مقصود بها العلم بالذكر والأنثى فقط؛ لأن الله عز وجل يعلم ما في الأرحام على أي شكل هو أو لون أو جنس أو ذكاء أو سعادة أو شقاء أو غير ذلك[٨].

المطلب الرابع
جهود الشيخ الشعراوي في الرد على المستشرقين حول دعواهم تناقض القرآن مع بعض الاكتشافات الحديثة

---

(١) تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٧).
(٢) هو الشيخ المفسر: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد بها سنة (١٣١١هـ/ ١٨٣٩م) وتعلم بها. واستقر مدرسًا في المدينة المنورة، وتوفي بمكة سنة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م). ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥).
(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤)، بتصرف يسير.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٧) بتصرف يسير.
(٥) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٦٩).
(٦) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٦٨).
(٧) ينظر: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، زياد أحمد سلامة (ص/ ٢٠)، دار البيارق/ بيروت، ط١(١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) بتصرف يسير.
(٨) راجع: تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٩٧، ٣٠٩٨)، (١٢/ ٧٢٣١).

الفرع الأول: ادعاء المستشرقين تناقض القرآن حول مسالة الذرة، والرد عليها:

المسألة الأولى: الدعوى:

ذكر الشعراوي رحمه الله أن العلماء كانوا يعتقدون أن الذرة هي الجزء الذي لا يتجزأ؛ لأنها أصغر ما يقع عليه البصر، ولما تقدم العلم بعد الحرب العالمية الأولى اخترعت ألمانيا آلةً لتحطيم الذرة قيل عنها: إنها آلة تحطيم الجوهر الفرد، أي: الشيء الذي لا ينقسم، وهذه الآلة مكونة من اسطوانتين مثل اسطوانتي عَصَّارة القصب، والمسافة بين الاسطوانتين لا تكاد تُرَى، وحين حَطَّمت ألمانيا ما قيل عنه: الجوهر الفرد تفتَّتت الذرّة، وأصبح هناك شيء آخر أقلٍ من الذرة. ولذلك ظن السطحيون الذين يتربصون بالإسلام وبكتاب الله الدوائر أنهم وجدوا فيه منفذًا. فقال هؤلاء المشككون: إن الله عز وجل يضرب بالذرة المثل على أنها أقل شيء، فقال سبحانه: ﴿ ﴾ [الزلزلة: ٧]، وظهر أن هناك ما هو أقل من الذرة[١][٢].

المسألة الثانية: رد الشيخ الشعراوي رحمه الله عليها:

يبطل الشيخ الشعراوي رحمه الله ما ذهب إليه المستشرقون من وجهين: **الأول: الإعجاز القرآني:** يبدأ الشيخ رحمه الله في رده على هذه الدعوى ببيان جهل المستشرقين بأوجه الإعجاز القرآني، ويلقنهم درسًا في بيان المنهج القرآني؛ ليؤكد على أن الآيات القرآنية يكمل بعضها بعضًا، فيقول: "وقلنا لهؤلاء: أنتم أخذتم آية ونسيتم آيات، فالقرآن قد جاء معجزة ليواجه مجتمعات شتى من لدن رسول الله إلى أن تقوم الساعة، فلا بد أن يكون فيه ما يشبع العقول من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة. ولو أن عطاء القرآن صُب مرة واحدة في عصر الرسالة؛ لجاءت القرون التالية وليس للقرآن عطاء. فأراد ربنا أن يكون القرآن هو المعجزة والمنهج المتضمن للأحكام والكليات، وهذه أمور مفهومة بالنسبة لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن تقوم الساعة، لكن لا يزال هناك كونيات ونواميس للحق في الوجود لم تظهر بعد، فسبحانه يعطي كل عصر على قدر اتساع فهمه.

وعندما نعرف أسرار قضية كونية لا يزيد علينا حكم، فعندما نعرف قضية مثلاً كقضية الذرة وتفتيتها ووجود إشارات لها في القرآن الكريم لا يزيد ذلك علينا أي حكم، بل ظلت الأحكام كما هي. فالأحكام واضحة كل الوضوح؛ لأن من يفعلها يثاب، ومن لا يفعلها يعاقب. والناس الذين ستقوم عليهم الساعة مثل الناس الذين عاصروا حضرة النبي عليه الصلاة والسلام؛ لذلك لابد أن تكون الأحكام واحدة، فمن ناحية أن القرآن كتاب أحكام فهذا أمر واضح وضوحًا لا زيادة فيه، ولم يفهم المعاصر لرسول الله حكمًا، ثم جاء الإنسان في زماننا ليفهم حكماً آخر، بل كل الأحكام سواء.

والقرآن كمعجزة هو أيضًا معجزة للجميع ولا بد أن تكون هناك معجزة لكل جيل، ولكل عصر، ويأتي الإعجاز في الآيات الكونية التي لو لم نعرفها فلن يحدث شيء بالنسبة للأحكام .... لكن الحق سبحانه وتعالى يواجه العقول بما يمكن أن تطيقه، فإذا ما ارتقت العقول وتنورت واستنارت بمقتضى طموحاتها العلمية في الكون، فالقرآن إن لم يؤيدها فهو لا يعارضها .... أنتم نظرتم إلى آية ونسيتم آيات. أنتم لم تنتبهوا - كما قلنا - إلى أن من فتتوا الذرة إلى إلكترونات وأيونات[٣] وموجب وسالب حاولوا بعد ذلك أن يفتتوا ما فُتت.

والآية التي نحن بصددها الآن: ﴿ ﴾ [النساء: ٤٠] أرضت العقول التي تعرف الذرة الأصلية هذه واحدة، ولماذا لا نسمع قول الله: ﴿ ﴾

---

(١) راجع: تفسير الشعراوي (٤/ ٢٢٤٥، ٢٢٤٦)، (١٠/ ٦٠١٩)، (١٩/ ١١٦٥٢).

(٢) راجع: ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين (ص/ ٤٥٩، ٤٦٠).

(٣) الأيُونات: مفرد أيُون، وهو ذرة أو مجموعة متماسكة من الذرات ذات شحنة موجبة أو سالبة، ويُطلق أيضًا: على الإلكترون وما سواه من الجسيمات المشحونة (أيون موجب/ سالب). معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٤٦) مادة/ (أ ي و ن).

النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ ﴾ [يونس: ٦١]. إذن: فهناك ذرة وهناك أصغر من الذرة"[١].

"ونقول: قرأتم شيئًا وغابت عنكم أشياء، ولو كان لديكم إلمام بكلام الله لعلمتم أن فيه احتياطاً لما توصلتم إليه، ولما ستتوصلون إليه فيما بعد، واقرأوا إن شئتم قول الله تعالى عن الذرة: ﴿اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ ﴾ [يونس: ٦١]"[٢].

فالشعراوي رحمه الله أكد على بلاغة القرآن وإعجازه لكل العصور، فلم يصدم أفكار الناس قديمًا، حيث نزلت هذه الآيات في عصر كان الناس فيه لا يعلمون شيئًا عن الذرة إلا أنها كما ذكر الشعراوي وغيره من المفسرين "أنها رأس النملة، أو النملة، أو الهباء الشائع في الجو"[٣]، وإذا كان العلم الحديث قد اكتشف ما هو أصغر من الذرة كالإلكترون، والبروتون، والنيترون[٤]، فإن القرآن الكريم أشار إلى أن هناك ما هو أصغر من الذرة، ولا حدّ لهذا الصِّغَر، فهو شامل لتفجير الذرة ولأجزائها مهما كان صِغَر هذه الأجزاء.

الوجه الثاني: اللغة العربية: يستعين الشعراوي رحمه الله باللغة في مواجهة هؤلاء المستشرقين، ليفضح جهلهم بلغة القرآن، ويظهر كيدهم ومكرهم للإسلام والمسلمين، فيقول: "ولم تأخذوا في بالكم أن (أصغر) هذه أفعل تفضيل، ولا يوجد أصغر إلا إن وجد صغير، إذن فهناك ذرة، وهناك صغير عن الذرة، وهناك أصغر من الصغير، فهناك إذن ثلاث مراحل، فإن فتتوها فلنا رصيد في القرآن يقول بالصغر، فإن فتتتم المُفَتت، فلنا رصيد في القرآن بأصغر؛ لأن كل أصغر لا بد أن يسبقه صغير، وإن كنت ستفتت المفتت فما زال عندنا رصيد من القرآن يسبق عقولكم في الابتكار"[٥].

فكلمة (أَصْغَرَ) في الآية الكريمة على وزن أفعل التفضيل تفيد المبالغة في شدة الصغر، وفي ذلك تصريح واضح بإمكان تجزئتها، وفي قوله: (وَلَا فِي السَّمَاءِ) بيان بأن خواص الذرات في الأرض هي نفس ذرات العناصر الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب الأخرى[٦].

وكذلك إذا تأملنا كلمة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ ﴾ [يونس: ٦١]؛ لوجدنا أنها اسم إشارة تفيد البعد؛ للإشارة إلى البعد في الصِّغَر.

لقد كان العالم كله يقول بالجوهر الفرد، وأن الذرة هي أدق جزء في المادة وغير قابلة للانقسام، ولكن القرآن الكريم كان يقول بالزوجية في الذرة على أنها شيء من المادة، بل الجزء من الذرة شيء، وأثبتت التجارب العلمية قول القرآن، فاكتشفت أن الذرة مكونة من جزء موجب وآخر سالب، وأن هناك قوة جذب جبارة بين الشحنات الموجبة والسالبة، كما توجد قوة تنافر هائلة بين الشحنات المتماثلة. وهذا

---

(١) راجع: تفسير الشعراوي (٤/ ٢٢٤٦، ٢٢٧٤).
(٢) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٦٥٢).
(٣) راجع: تفسير الشعراوي (٤/ ٢٢٤٣)، (١٠/ ٦٠١٦)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٩٥)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (١١/ ٣٣٩).
(٤) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، د: سليمان عمر قوش (ص/ ١١٥)، دار الحرمين/ الدوحة، ط١(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ومعجزات القرآن العلمية، حامد حسين قدير (ص/ ١٨٣)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (١٤٠٢هـ).
(٥) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٦٥٢).
(٦) ينظر: الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم (ص/ ١١٥)، ومعجزات القرآن العلمية (ص/ ١٨٣).

يؤكد عل أنها أنها ليست بجوهر فرد، وان قانون الزوجية قانون صارم لابد وأن تخضع له جميع الأشياء بما فيها الذرات، حتى نواة الذرة قام العلماء بتحطيمها عن طريق تطوير المفاعلات النووية فوجدوها مكونة من أبعاض وأجزاء[١].

(١) ينظر: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام (١٣٨، ١٣٩) بتصرف يسير.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، وبعد هذه الرحلة العلمية التي قضيتها مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في إبراز جهوده في الدفاع عن الإسلام من خلال ردوده على المستشرقين في أثناء تفسيره لكتاب الله تعالى، يمكن استخلاص الآتي:

١. موسوعية الشيخ الشعراوي رحمه الله في شتى العلوم، حيث جاءت ردوده على دعاوى المستشرقين تدل على أن مكانته العلمية وثقافته لم تكن محصورة في فن بعينه، أو مقصورة على لون من ألوان المعرفة، ولكنها تعدت كل ذلك لتشمل عدة فروع من العلوم والمعارف والفنون كاللغوية، والنحوية، والعقدية، والفقهية، والمنطقية، وفي مجال الإعجاز العلمي. كما أنه رحمه الله كان على دراية تامة وعميقة بأحوال الناس، وبموروثهم الثقافي والحضاري.
٢. أثبت الشيخ الشعراوي رحمه الله أن الاستشراق هو أحد وسائل أعداء الإسلام في تشويه صورة الإسلام، ولذلك كان رحمه الله لا يدع فرصة للتصدي لهم إلا ويغتنمها في بيان وتوضيح كيدهم وعداوتهم للإسلام.
٣. ظهر جليًّا من خلال مناقشات وردود الشيخ رحمه الله أن دعاوى المستشرقين لم ولن تثبت أمام النقد البناء؛ لخلوها من البراهين الصحيحة، واعتمادها الكذب والافتراء على الإسلام والمسلمين.
٤. يرى الشيخ الشعراوي رحمه الله أنه لا مانع من ربط الحقيقة العلمية الثابتة التي وقعت تحت التجربة وثبت صدقها عمليًّا، ووثقنا أنها لا تتغير بالقرآن الكريم، بخلاف النظرية العلمية التي ما زالت محل بحث ودراسة ولم تثبت بعد علينا ألا نربطها بالقرآن؛ لأنها تحتمل الصدق أو الكذب، وحتى لا يتذبذب الناس في فَهْمهم للقرآن، ويتهمونا أننا نُفسِّر القرآن حَسْب أهوائنا.
٥. أثبت الشيخ رحمه الله من خلال ردوده على المستشرقين بما لا يدع مجالًا للشك أن القرآن الكريم منزل من لدن حكيم خبير، وأن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
٦. استعمال الشيخ رحمه الله لقواعد الجدل في ردوده على المستشرقين كالاستفهام التقريري الذي كان رحمه الله معجبًا به، ويعتبره من أحسن أنواع الجدل بالبرهان، وكالتدرج مع الخصم بالتسليم الجدلي له في بعض مقدماته؛ ليصل إلى النتيجة الصحيحة.
٧. استعمال الشيخ رحمه الله للغة العربية في ردوده على المستشرقين، حيث كشف رحمه الله عن جهل المستشرقين باللغة العربية وأساليبها، وأن من درسها منهم أخذها صناعة ولم يأخذها ملكة، ولذلك كان رحمه الله كثيرًا ما يصفهم بالسطحيين، والمتوركين، والأغبياء؛ لأنهم لم يفهموا من اللغة إلا قشورها دون أن يتعمقوا بأسرارها.
٨. استدلال الشيخ الشعراوي رحمه الله بضرب الأمثال من واقع حياة الناس ومعاشهم، فيقدم المثال الواضح الذي لا ينكره عقل أو عرف، ثم يؤسس عليه مثاله الذي يسعى إلى إدراجه؛ لضمان نجاح عملية الإقناع.

المصادر والمراجع

١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه
٢. الأخطاء اللغوية في القرآن الكريم سامي عوض الذيب أبو ساحلية، الناشر: مركز القانون العربي والإسلامي، (٢٠١٧م).
٣. أساسيات الجغرافيا الطبيعية، د : علاء داود المختار، د: حسين مجاهد مسعود، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط١(١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
٤. الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: د: محمد عناني، مكتبة رؤية للنشر والتوزيع/ القاهرة، ط١(٢٠٠٦).
٥. الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية، د: تركي بن خالد الظفيري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث/ السعودية، ط٢(٢٠١٥م).
٦. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف/ القاهرة، (دت).
٧. الاستشراق والدراسات الإسلامية، مكتبة التوبة/ الرياض، ط١(١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
٨. أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، زياد أحمد سلامة، دار البيارق/ بيروت، ط١(١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
٩. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية، (دت).
١٠. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، دار جياد للنشر والتوزيع/ السعودية، ط١(١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
١١. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥(٢٠٠٢م).
١٢. الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، د: سليمان عمر قوش، دار الحرمين/ الدوحة، ط١(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)
١٣. الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري، تحقيق: د: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١(١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
١٤. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم/ مصر، (دت).
١٥. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م).
١٦. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ: حس خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٣(١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
١٧. الشعراوي الداعية المجدد، إبراهيم عبد العزيز، دار الضياء/ القاهرة، ط١(١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
١٨. الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين، أخبار اليوم/ مصر، ط٤(١٩٩٥م).
١٩. الشعراوي إمام الدعاة مجدد هذا القرن، مجموعة من العلماء، هدية مجلة الأزهر، مطابع روز اليوسف الجديدة، (١٤١٩هـ).
٢٠. الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت، سعيد أبو العينين، دار أخبار اليوم/ القاهرة، ط٦، (دت).
٢١. الشعراوي في تفسيره نفس صوفي عميق وإلهام من الله كبير، مقال للدكتور: محمد زكي إبراهيم، جريدة الأخبار/ القاهرة، بتاريخ: (١٩/ ٦/ ١٩٩٨م).
٢٢. العقيدة الإسلامية في مواجهة التنصير، عبد الجليل إبراهيم حمادي الفهداوي، مكتبة المهتدين الإسلامية/ الأردن، ط١(٢٠٠٨م).

٢٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي/ القاهرة، (دت).
٢٤. القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
٢٥. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر/ بيروت، ط٣(١٤١٤هـ).
٢٦. لسنا بمأمن من جنود الله، الدكتور المهندس: خالد فائق العُبَيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(٢٠٠٧م).
٢٧. مباحث في إعجاز القرآن، د: مصطفى مسلم، دار القلم/ دمشق، ط٣(١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
٢٨. محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها البقية في العصر الاسلامي، الدكتورة: سعاد ماهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
٢٩. مذكرات إمام الدعاة، محمد زايد، دار الشروق/ القاهرة، ط٣(١٩٩٨م).
٣٠. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١(١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
٣١. معالم التاريخ الأمريكي الحديث نشأة الولايات المتحدة الأمريكية، د: إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان/ الرياض، ط١(١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
٣٢. معجزات القرآن العلمية، حامد حسين قدير، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (١٤٠٢هـ).
٣٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، د: أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
٣٤. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د.ت).
٣٥. معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، الحمد رضا، مادة/ شرق، دار مكتبة الحياة/ بيروت، (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).
٣٦. مقالة في الإسلام، جرجس سال الإنجليزي، ترجمة/ هاشم العربي، المطبعة الإنجليزية الأمريكانية ببولاق/ مصر، ط٢(١٩١٣م).
٣٧. من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء والأرض في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، د: حسن أبو العينين، مكتبة العبيكان/ الرياض، ط٢(١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).
٣٨. من القرية إلى العالمية، محمد محجوب حسن، مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة، (دت).
٣٩. موسوعة أعلام المجددين في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الخامس عشر، مكتبة الدار العربية للكتاب، (٢٠١٠م).
٤٠. الهندسة الوراثية في القرآن وأسرار الخلق والروح والبعث، هشام كمال عبد الحميد، مركز الحضارة العربية/ القاهرة، ط١(٢٠٠٢م).
٤١. الهندسة الوراثية في القرآن وأسرار الروح وخلق الإنسان، محمد محمود عبد الله، مكتبة الإيمان بالمنصورة/ مصر، ط١(١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

The efforts of Sheikh Muhammad Metwally al-Sha'rawi in responding to the claims of the Orientalists through his interpretation: "The Scientific Miracle of the Holy Qur'an as a Model"

By

Mahmoud Raafat Ahmed El-Gamal

Prof. Dr. Mohamed Atta Ahmed Youssef

Emeritus Professor of Islamic Studies, Faculty of Arts, Tanta University

Dr. Rabie Abdel-Khalek

Lecturer, De partment of Arabic Language, Faculty of Arts

Tanta University

Abstract:

It is no secret to any of the people what befell the Islamic nation, especially in this modern era, in terms of successive suspicions and a fierce and relentless war, in which evil circles sought to erase Islam from existence. And it was from the Sunnah of God Almighty in the universe that the struggle between truth and falsehood would remain until the Day of Resurrection, and that He, may He be glorified and exalted, is the supporter of His religion and its supporter in every era and time with a constellation of knowledge and intellect campaigners defending this religion, and among those distinguished scholars who excelled in this era was His Eminence Sheikh Muhammad Metwally Al-Shaarawi, may God have mercy on him, who was known for his complete zeal for the constants and belief of the nation.

Imam Al-Shaarawi, may God have mercy on him, stood defending Islam in cases that are considered among the entrances through which the enemies of Islam from the Orientalists and others enter to challenge it and distort its image.

And I looked at the interpretation of Sheikh Al-Shaarawi, may God have mercy on him, and I saw a great effort in this regard, as he mentions many of the orientalists' fallacies and allegations about verses from the

Holy Qur’an, then deals with them with scientific response and refutation away from emotional emotion.
The efforts of Sheikh Al-Shaarawi, may God have mercy on him, appeared through his responses to the claims raised by the orientalists about the scientific miracles of the Noble Qur’an, including: Responding to their claim that the Noble Qur’an contradicts the cosmic verses. Among them: responding to their claim that the Qur’an contradicts the creation of man. Including: Responding to their claim of contradiction in the Qur’an with some recent discoveries
.
Keywords: Efforts, Sheikh Muhammad Metwally Al-Shaarawi, Orientalist claims, the scientific miracle of the Holy Qur’an.